عنترة الشاعر

obeikandl.com

أغراضه وأساليبه الشعرية

إن الباحث فى الشعر الجاهلى كثيراً ما يصطدم بألوان من التعقيد والإبهام فى أساليب هذا الشعر ، فيقف حائراً يقصر به المدى عن استجلاء المعانى وتدبر الألفاظ ، وليس ذلك لطبيعة اللفظ نفسه ، وقد كانت الألفاظ الصعبة من مشخصات الأسلوب الجاهلى ، وكان الخروج عنها ومغادرتها إلى مأنوس اللفظ ومفهوم التعبير – آنذاك – مما يدل على نقص فى عربية القائل ، ومقدرته فى قوة الصوغ ومتانة السبك .. لا ليس الأمر عائداً إلى هذا فحسب ، ولكن ما يعسر على القارئ فهمه ، وما يضنيه إمعان البحث وإطالة المشقة والتروى فيه ، هو ارتكام المعانى وتشابكها ومزجها فيما لا يلائم الأغراض الشعرية ، ولا يتساوق معها وما ينفر المسامع عن متابعة بعضها ، وحرص الشاعر الجاهلى على أن يسلك فى القصيدة ، وغالباً ما تكون ملحمة مطولة أشتاتاً من الأفكار المتفرقة التى لا رابطة بينها ولا انسجام .

فالتحرق للقيا الحبيبة – الوفية أو الخلية – والبكاء والاستبكاء على الأطلال الدائرة ، ووصف النوق والإبل ، والظباء والجياد ، والسلاح والحماسة البالغة للنسب والنفس والقبيلة والحكم المتراكمة مصوغاً ، كل ذلك فى قالب من التعبير يندر أن يتحرر من التداخل – تلك كانت أصولا وقواعد لازمة حتمية للقصيدة التى ينشئها الشاعر العربى القديم [1] ولا معابة فى ذلك ولا تثريب ، لو آن الشاعر أفرد لهذه الموضوعات والأغراض المتباينة قصائد مختلفة ومنوعة ، ولكن الذى يعجب له القارئ هو حرص الشعراء ولا سيما الفحول منهم ، على أن تستهدف القصيدة الواحدة المفردة من قصائدهم كل هذه الألوان ، لاسيما إذا كان المجال مجال مفاخرة شعرية أو مناظرة أدبية ، كما يحدث ذلك عادة فى ميادين الأدب وأسواقه عندهم ، وكما هو الملاحظ فى بعض المعلقات [2] .

على أن مدرسة الشعر الجاهلى وإن كانت تفرض تلك القيود ، فإن مما لا ريب فيه أن عنترة قد تحرر كثيراً من قيودها ، ولم يخلص لها كل الإخلاص ، إذ اتسم أكثر شعره بالرقة والوضوح ، مع بلاغة التعبير وجودة الأسلوب ، فلم يأخذ مأخذ الشعر الجاهلى الصميم فى

---

(١) شوقى ضيف / الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ٥ ، ٦ م لجنة التأليف والترجمة والنشر .
وطه حسين / فى الأدب الجاهلى . ومحمد مهدى البصير / بعث الشعر الجاهلى م التفيفى الأهلية ببغداد عام ١٩٣٩
نورى حمودى القيسى / الفروسية فى الشعر الجاهلى من ص ٢٧٥ – ٢٩٠ م دار التضامن ببغداد عام ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .

(٢) حسن عبد الله القرشى / خطرات فى الشعر والنقد [تحت الطبع] ، عبد الحميد العلوجى / المواسم الأدبية عند العرب – راجع طبعة دار الجمهورية للطباعة والنشر بغداد عام ١٩٦٥ .

ضخامة الألفاظ ، وخشونة المعانى ، ووعورة الوصف [١] إلا فى أفانين قليلة ، وإذا كان ذلك يؤثر له كمحمدة ومأثرة الآن ، فإنه ربما عرضه لموجدة بعض النقاد الأقدمين ومؤاخذتهم ، فهذا محمد بن سلام الجمحى صاحب طبقات الشعراء يعتده من شعراء الطبقة السادسة [٢] . ويشير الأستاذ الزيات فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » [٣] إلى أن شعراء الجاهلية قد قسموا فى اعتبار الأقدمين بحسب إجادتهم إلى ثلاث طبقات : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة وهم رجال الطبقة الأولى ، والأعشى ، ولبيد ، وطرفه وهم رجال الطبقة الثانية ، وعنترة ، ودريد بن الصمة ، وأمية بن أبى الصلت وهم رجال الطبقة الثالثة . على أن هذا التقسيم لا يخلو من ضلال وتحكم ، لاختلاف الذوق وجهل بعض القدماء بقواعد النقد وأصوله [٤] ، ولأن فى شعراء الجاهلية من أعلام الشعر من لا يستهان بخطرهم أمثال : علقمة بن علاثة ، وعمرو بن كلثوم ، والمرقش الأكبر ، وسويد بن أبى كاهل اليشكرى ، وقد عد عنترة فى « الأعلام » من شعراء الطبقة الأولى من أهل نجد [٥] .

وقد عنى عنترة بكافة أغراض الشعر العربى وفنونه المعروفة فى زمانه ، كالفخر والحماسة ، والهجاء والرثاء ، والغزل والوصف ، والحنين والحكم ، وما إلى هذا من أفانين القول ، فكان فيها سباقاً رشيق التعبير ، بارع التصوير ، طريف المعانى .

على أن ملكة عنترة الشعرية لم تترعرع وتزدهر إلا حينما تخلص من ربقة العبودية وذل الرق ، حيث لم يرو عنه فى حال رقه من الشعر جيد أو رديء [٦] . ولكنه حينما نال حريته ، وملك أمر نفسه ، وشعر بمكانه وشخصيته ، جاشت نفسه بالشعر ، وتدفق به جزلا عبقرياً يفيض عذوبة ورقة ، ولا سيما حين عمر قلبه بحب ابنة عمه عبلة ، وجاش فؤاده هياماً بها وغراماً ، فقد أتى من ثمة بالمعجب المطرب العميق من سحر المعانى ودقتها وأناقتها .

وروى أن من الأسباب التى حفزت عنترة على قول الشعر ، أن رجلا من بنى عبس سابّه وشاتمه ، فذكر سواده وسواد أمه وإخوته ، وعيّره بذلك ، وبأنه لا يقول الشعر ، فقال له عنترة : « والله إن الناس ليترافدون بالطعمة فما حضرت مرفد الناس أنت ولا أبوك ولا جدك قط ، وإن الناس ليدعون فى الغارات فيعرفون بتسويمهم ، فما رأيناك فى خيل مغيرة فى أول الناس قط ، وإن اللبس (الاختلاط) ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك خطة

---

(١) الأب لويس شيخو / شعراء النصرانية حـ ١ ص ٨٨٢ .

(٢) ابن سلام / طبقات فحول الشعراء ص ١٢٨ .

(٣) أحمد حسن الزيات / تاريخ الأدب العربى طبعة سادسة ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٤) أحمد حسن الزيات / تاريخ الأدب العربى طبعة سادسة ص ٣٨ .

(٥) الزركلى / الاعلام حـ ٢ ص ٧٤٤ .

(٦) أحمد حسن الزيات / تاريخ الأدب العربى ص ٤٨ .

فيصل ، وإنما أنت فقع نبت بقرقر [١] . وإنى لأحتضر البأس وأوفى المغنم ، وأعف عن المسألة ، وأجود بما ملكت يدى ، وأفصل الخطة الصمعاء ، وأما الشعر فستعلم » ، فكان أول ما قال قصيدة :

هـل غَـادَر الشُّعـراء من مُتـردَّم . . . . . .

وهى أجود شعره وكانوا يسمونها المذهّبة [٢] .

وقد أورد صاحب الأغانى أيضاً هذه القصة مع تغاير فى التعبير عما ورد آنفاً [٣] .

ومعلقة عنترة هذه من خير قصائد الشعر الجاهلى ، وبرغم أنه بدأها كما يبدأ شعراء المعلقات قصائدهم بذكر الأطلال أو الفراق عدا عمرو بن كلثوم - إذ يقول عنترة :

هَـلْ غَادَر الشُّعـراءُ مِنْ مُتـردّمٍ أَمْ هَلْ عَرِفْتَ الدَّار بعد تَـوهُّم
أَعْيـاك رسْمُ الـدَّار لَم يـتَكـلَّمٍ حـتّى تَكـلَّم كـالأَصَـمِّ الأَعْـجَـم
يـا دَار عَبْلَةَ بـالجِـواءِ تكلَّمِى وعِمِى صَباحَاً دَارَ عَبْلة واسْلَمى [٤]

برغم هذا ، فإن ما ورد فيها من المعانى الطريفة قمين بأن يضعها فى منزلة مميزة بالنسبة لسائر المعلقات المشهورة .

ويكفى أنه نظمها دفاعاً عن شاعريته ، وتأييداً لفصاحته ، وأنه قد قطع بها خصمه ونقض حكمه [٥] . وسنورد تحليلا مستقلا لهذه المعلقة فيما بعد [٦] .

وفى العمدة لابن رشيق حكى الأصمعى عن ابن أبى طرفة قال : كفاك من الشعراء أربعة : زهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب ، وعنترة إذا كلب [٧] .

---

(١) فى المثل أذل من فقع بقرقر ، والفقع الرخو من الكمأة وهو أردؤها لأن الدواب تنجله بأرجلها . انظر « مجمع الأمثال » - ١ - ٢٤٩ ، و « اللسان » ١ - ١٢٦ .

(٢) ابن قتيبة / الشعر والشعراء جـ ١ ص ٢٠٥ و ٢٠٦ ، وكانت المعلقات تسمى أيضاً المذهبات . انظر « الخزانة » ١ - ٦١ وفيها إشارة لما فى المصدر السابق .

(٣) أبو الفرج الأصفهانى / الأغانى حـ ٩ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٤) طه حسين وآخرون / التوجيه الأدبى ص ١٦١ ، محمود شكرى الألوسى / بلوغ الأرب حـ ٢ ص ١٩٣ ، والجواء : موضع شمال القصيم لا يزال معروفاً بهذا الاسم .

(٥) أحمد حسن الزيات / تاريخ الأدب العربى طبعة سادسة ص ٤٩ ، ابن عبد ربه / العقد الفريد حـ ٣ ص ٣٧٩ .

(٦) التبريزى / القصائد العشر ، حيث جعل التبريزى معلقة عنترة خامسة القصائد العشر .

(٧)ابن رشيق / العمدة تحقيق محيى الدين عبد الحميد حـ ١ ص ٧٨ .

وشعر عنترة ملىء بذكر الحرب ومسمياتها ، حتى قال فيه الأصمعى : « ذهب أمية بن أبى الصلت فى شعره بعامة ذكر الآخرة ، وعنترة بعامة ذكر الحرب » [١] .

ولا غرابة فى ذلك ، فإن عنترة صاحب حرب وقتال وطعن ونزال ، ولولا ما اشتهر عنه من ضروب الفروسية والبسالة لطمرت ذكره الأجيال ، ولغطى على بريق اسمه تقادم القرون والأزمان .

وعنترة فى غزله ورثائه واضح الأداء سهل التعبير ، وأما فى وصفه فوعر معقد إلا ما ندر ، ولقد وَفَى عنترة رسالته الشعرية لقومه ، نافح عن قبيلته عبس بشعره ، كما حامى عنها بحسامه ، ورفع من منزلتها بين العرب فى مضمار الفن حينما نفحها بمعلقته المشهورة التى جاءت درّة مجلوة بين المعلقات الأخرى ، كما حبَّب إلى الفضائل فى شعره واستكره الرذائل .

أما ميراثه للشعر عامة ، فذخيرة لها حسابها ، وثروة فنية لها رصيدها فى ميزانه كشاعر من شعراء الرعيل الأول ، أضاف إلى العربية صفحات من الشعر الخالد ، ولاشك أن من له ملكة عنترة الشعرية ، وفإنما هو شاعر مجيد مكثر ، ولو خلص إلينا جميع شعره على أصالته لكان لنا منه غُنْم أى غُنْم . على أنه بحسبنا الآن ما أفلت إلينا من أيدى الزمان ، وما وعاه الرواة ليقيم لعنترة فى ميدان الشعر عكاظاً ، وليسطر لاسمه فى سجل النابغين من شعراء الجاهلية مجداً باذخاً . وحسب ذاكرة التاريخ أنها حرصت على أن تقيم لهذا الشعر فى كل جيل مهرجاناً ، وأن تحفز الباحثين على دراسته ونقده ، وتشوقهم كل حين إلى الاحتفال به واستكناه طرائفه وذخائره ، وقد نقل هاملتن أشعار عنترة إلى الإنكليزية ، وطبعها بلندن فى مجلدين سنة ١٨٢٠ م ، ونقل ديفيك حماسياته إلى الفرنسية ، وطبعها بباريس ، ونجد لقصائد عنترة ترجمة بالألمانية ، طبعها منيل ببتافورم سنة ١٨١٦ م ، كما أن أشعاره مطبوعة فى ترجمات المعلقات الكبيره إلى اللاتينية والإنكليزية والألمانية [٢] .

ولا ريب فى أن شعر عنترة الحماسى كان من حيث فوته وجهارته كأناشيد الجيوش فى وقت الحرب – وقد ذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ٧٧ : أن عتاب ابن ورقاء سار فى أصحابه قبيل المعركة يحرضهم على القتال ، ويقص عليهم ثم قال : أين القُصَّاص ؟ فلم يجبه أحد ، فقال : أين من يروى شعر عنترة ؟ فلم يجبه أحد [٣] .

---

(١) محمود شكرى الألوسى / بلوغ الأرب حـ ٢ ص ٢٥٣ .

(٢) غوستاف لوبون حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر فى فهرس المصادر راجع ص ٧٥٠ – مطبعة عيسى الحلبى .

(٣) راجع ابن الأثير – وراجع « فى أصول الأدب » للزيات ص ٤٥ .

وفى أثر الشعر جاء فى كتاب « زهر الآداب » للحصرى : قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى ، حدثنا يوسف ابن يعقوب ، قال أخبرنى جدى قراءة عليه عن أبى داود ، عن محمد بن عبيد الله ، عن أبى إسحاق ، عن البراء يرفعه إلى رسول الله ﷺ : قال : « ، إن من الشعر لحكماً ، وإن من البيان لسحرا » وراجعت فيه الشيخ فقال : إن من الشعر لحكماً بضم الحاء وتسكين الكاف ، ووجهه عندى أن من الشعر ما يلزم المقول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عيه إصابة للمعنى وقصداً للصواب .

ديوان عنترة ومصادر شعره *

« عنترة » شاعر فحل يستحق شعره الكثير من دراسة الناقدين والباحثين ، وقد أصاب شعره الكثير من التصحيف والتحريف على أيدى النقلة والرواة والمتزيدين من أولئك وهؤلاء ، والمصادر المهمة التى يمكن أن يلجأ إليها باحث شعره :

أولا : ديوان عنترة بن معاوية بن شداد رواية الأصمعى ، مخطوط سنة ١١١٢ هـ (٧٧٢٧ أدب اللغة) بدار الكتب والوثائق القومية القاهرية .

ثانياً : ديوان عنترة بن معاوية بن شداد رواية الوزير أبى بكر عاصم بن أيوب البطليوسى بخط محمد محمود الشنقيطى .

ثالثاً : العقد الثمين فى دواوين الشعراء الجاهليين ، مطبوع فى أوربا سنة ١٨٦٩ م .

رابعاً : ديوان عنترة نشر الخورى ، الطبعة الثالثة . بيروت سنة ١٨٨٨ م .

خامساً : ديوان عنترة بتعليق رشيد عطية ، بيروت سنة ١٩٠١ م .

سادساً : ديوأن عنترة بن معاوية بن شدّاد ، وعليه حاشية لمحمد العنانى ، مطبوع سنة ١٣٢٩ هـ .

سابعاً : ديوان عنترة برواية الأصمعى فى مخطوطة الشنتمرى شرح الدواوين الستة بدار الكتب والوثائق القومية القاهرية – نشرها مصطفى السقا بشرح مختصر فى مجموعة « مختار الشعر الجاهلى » ، مطبعة مصطفى الحلبى سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٨ م .

ثامناً : شرح ديوان عنترة بن شدّاد لأمين سعيد ، مطبوع بالمطبعة العربية بالقاهرة بدون تأريخ .

تاسعاً : ديوان عنترة نشر دارى بيروت وصادرة مطبوع سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م مع مقدمة لكرم البستانى .

---

* شوقى ضيف / تاريخ الأدب العربى – العصر الجاهلى ص ٣٦٩ -، ط دار المعارف عام ١٩٦٥ .
كارل بروكلمان / تاريخ الأدب العربى ص ٩٠ – ٩٢ ط دار المعارف عام ١٩٥٩ مصطفى السقا / مختار الشعر الجاهلى – شرح وتحقيق ط .الحلبى عام ١٣٦٨ هـ – ١٩٤٨ م
عمر فروخ / تأريخ الأدب العربى حـ ١ ص ٢١١ ، ٢١٢ ط دار العلم للملايين عام ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م .

عاشراً : شرح ديوان عنترة بن شدّاد بتحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبى مع مقدمة لإبراهيم الأبيارى ، مطبوع بشركة فن الطباعة بالقاهرة .. وهذا الديوان هو الذى اقتبسنا منه بعض الشعر المنسوب إلى عنترة وبعض ما ورد فى ثنايا الكتاب ولم يؤرخ تأريخ نشره .

وذكر « بروكلمان » أنه توجد فى يوهار رقم (٤٣٦) (١٤) قصيدة على روى اللام المكسورة فى معارضة الربيع بن زياد . نسبت إلى عنترة والمطلع على المطبوع من شعر عنترة يشعر أن كلّ ذلك لا يعد تحقيقاً دقيقاً لإنتاج عنترة الشعرى ، فما زال ديوانه ينتظر النشر العلمى الصحيح ، وما زال يرتقب المحقق الجاد الذى يكرّس جهده ويوفر وقته لإصدار الديوان فى صورة منهجية تتكافأ ومنزلته .

obeikandl.com

معلّقته وتحليلها*

لقد سبق الكلام عن أسباب إنشاء عنترة معلقته وذلك فى معرض الحديث عن « أغراضه وأساليبه الشعرية » وأنها جاءت على أثر ملاحاته لرجل من قومه اتهمه بالتقصير فى قول الشعر ، وإذن فقد نظم عنترة هذه المعلقة دفاعاً عن فته ، ودحضاً لحجة خصمه .

وسبب تسمية المعلقات ما ذكره ابن عبد ربه من أنها كانت القصائد السبع المتخيرة والمفضلة عند العرب ، فكتبوها بماء الذهب ، وعلقوها على أستار الكعبة ، ومثل ذلك ذكره ابن رشيق ، وصاحب خزانة الأدب ، وكانت هذه المعلقات تسمى أيضاً المذهبات [١] .

وقيل : إن سبب تسمية المعلقات أن العرب كانوا يتناشدون الأشعار والقصائد فى أسواق الشعر المعروفة ، فإذا استحسن الملك قصيدة قال : علقوا لنا هذه ، فتكتب وتعلق فى خزانته ، وربما كان الملك المقصود هو النعمان بن المنذر ، وربما كان أى ملك من الملوك الذين يعنون بالشعر .

إذن فعنترة شاعر فحل منذ قديم ، لا يمترى فى شعره ، ولا يشك فى لقانته وفصاحته بعد أن اعترفت العرب بآثاره وخلدتها كأحسن ما تخلد الآثار الرفيعة .

فالمعلقات هى خير أشعار العرب فى العصر الجاهلى ، وخلاصة منظومهم لما افتنوا فيها وأبدعوا من ضروب القول ومستحدثات المعانى ، ومن تلون أغراض الشعر وقوة الأسلوب ونضارته وجودة الوصف والتركيب . هذا مجمل القول فى المعلقات .

أما معلقة عنترة فقد شملت ألواناً وأفانين ، ففيها لوعة الفراق ، وذكرى الأطلال ، وفيها غزله بعبلة وهيامه بها ، ووصفه للناقة والاعتزاز بخلائقه وكرمه وخمرياته ، ثم ذكر غزواته وحروبه وفخره بقومه ، ومناوأة شاتميه وحساده ، فهى مستوعبة آماله وأمانيه ، مصورة حاضره وماضيه . ونبدأ الآن فى تحليل المعلقة .

يبدأ عنترة معلقته بأسلوب فيه نوع من التواضع الأدبى ، فهو يتساءل فى مطلعها تساؤل المستنكر :

---

* أبو الفرج الأصبهانى / الأغانى ج ٩ ص ٢٢ ، أبو محمد بن حزم / جمهرة أشعار العرب ، الأب لويس شيخو / شعراء النصرانية ، محمد بن سلام الجمحى / طبقات فحول الشعراء ، ديوان عنترة ، ابن عبد ربه / العقد الفريد ، التبريزى / شرح القصائد العشر ص ١٨٠ ، محمد بن القاسم الأنبارى / شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٢٩٣ وما بعدها .

(١) راجع عبد القادر البغدادى / خزانة الأدب ح ١ ص ٦١ ، ابن رشيق / العمدة تحقيق محيى الدين عبد الحميد ح ١ ص ٧٨ ط حجازى .

فيليب حتى / تاريخ العرب ترجمة محمد مبروك نافع ح ١ ص ١١١ .

هل غادر الشعراء من متردّم ؟

فكأنه يقول : ماذا أقول وهل ترك الشعراء قبلى مقالة لقائل ؟ إنهم قد ملأوا علينا شعاب الشعر حتى لانكاد نجد مسالكنا فيه ، ولا نتلمس سبلنا فى أوديته ورحابه ؟ ثم يمضى فى قصيدته :

هَـلْ غادَرَ الشُّعـراءُ من مُتـردَّمِ ... أمْ هَلْ عَرفْت الدَّار بَعْد توهم ؟
يـا دَارَ عَبلةَ بـالجـوَاءِ تَكلَّمى ... وعِمِى صَباحاً دار عَبلةَ واسْلَمى
فـوقفْتُ فِيهـا نـاقـتى وكـأنَّها ... فَـدَنٌ لأقضِىَ حَـاجـةَ المتلوَم [1]
وتَحـلُّ عَبلةُ بـالجـواءِ وأهْـلنَـا ... بـالحـزْن فـالصَّـمان فـالمُتَثلَّمِ [2]
حُيِّيتَ مِن عهدٍ تَقـادَم عَهْـده ... أقـوى وأقْفَـر بَعْـد أمِّ الهيْثَم
حلَّتْ بأرْضِ الزَّائـرينَ فأصبَحت ... عسِراً عَلى طِلابِكِ ابْنـةَ مَخْرَم
عُلقتهـا عَرضَـاً وأقْتلُ قَـوْمهـا ؟ ... زَعـماً لَعمْـر أبيـكَ ليْسَ بمزْعَم
ولَقَـد نَـزلْتِ فَـلا تـظنى غَـيْره ... منِّى بمنْـزِلـةِ المحَب المكْـرَم [3]

إنها هنَيهات ذكرى وقوف بالأطلال ، وتفرس فى ملامح الديار ، وتحية لها كأنها كائنات حية شاخصة ، واستنطاق واستحثاث على الكلام ، واستيحاء لما تذكيه فى نفسه من ضرام وتساؤل ضمنى فى النفس عن هذه التى علقها عرضاً أيعلقها ثم يقتل قومها ، كلا إنه لن يفعل ذلك ، إن إباءه وشممه يذودانه عن قومها . أجل فما هذا إلا « زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم » فليس هذا بفعل مثله ، وليست تلك سجاياه . وثم :

كَيفَ المـزارُ وقَـد تَـربَّـع أهْلُهـا ... بعنُيـزتـيْن وأهْلُنـا بـالـغَيْـلم [4]
إنْ كُنتِ أزْمعْتِ الفـراقَ فـإنَّمـا ... زمَّتْ رِكـابكمـو بلَيـلٍ مُـظْلم
مَـا رَاعِنى إلاّ حُمُـولـة أهْلِهـا ... وَسْط الدِّيار تسفُّ حَبّ الخِمْخَم [5]

---

(١) الفدن : القصر . المتلوم : المترقب . وقد أشار الأستاذ أحمد أمين إلى بدائية تشبيهات الجاهليين كتشبيه عمرو بن كلثوم فى معلقته أرجل امرأة جميلة بأعمدة من الرخام ، وصدرها بقطعة من العاج (راجع « ظهر الإسلام » ج ٢ ص ٢٣٥) وإن كنت أعتقد أن تشبيه عنترة وعمرو بن كلثوم لا يعتبر بدائياً ، بل إن فيه جدة بالنسبة لمستوى الحضارة فى عصر الجاهلية ، وهانحن أولا : نقرأ فى أشعار المعاصرين من يشبه نهدى المرأة بأنهما حُقا عاج على قطعة بلّور والفرق ليس كبيراً .

(٢) أمكنة عند العرب .

(٣) نزلت : حللت من نفسى منزلة المحب المكرم . وقد امتدح أبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران ص ٣١٧ كلمة المحب بفتح الحاء ، وذكر أن بعض العلماء قال « لم يسمع بمحب إلا فى بيت عنترة » .

(٤) أمكنة عند العرب .

(٥) الحمولة : الإبل . تسف : تأكل . الخمخم : بقلة يقال إنها حب أسود إذا أكلته الغنم قلت ألبانها وتغيرت .

فِيهـا اثْنتـانِ وَأرْبعـونَ حَلُوبـةً سُوداً كخَافِية الغُراب الأسْحَم [١]

يالقلب عنترة ! لقد راعه الفراق وهو يرى الركائب والنجائب تزم ، والأحمال توضع على ظهور النوق والإبل ، والقوم سفر لايستجيبون له ولا يحفلون حبه وغرامه .

وتالله ما أقسى سفر الفراق على قلُوب المحبِّين ! وما آلمه لعواطفهم ومشاعرهم ! فما لهم صبر على بلائه ولا طاقة لاحتماله !

ثم يمضى عنترة واصفاً محبوبته « عبلة » هذا الوصف الرقيق الشائق الذى يستهدف كثيراً من محاسنها :

دارٌ لآنسـة غَضِيض طَـرفُهـا طَـوْع العِنَاقِ لـذيـذَة المتَبَسم
إذْ تَسْتبيكَ بذِى غُـروبٍ وَاضحٍ عَـذْبٍ مقبَّلُهُ لَـذيـذ المـطْعَم [٢]
وكـأنَّ فَـارةَ تـاجـر بقسِيمـةٍ سبقت عَوارضَهَا إلَيك مِنَ الفَم [٣]
أوْ رَوضَـةً أنُفًـا تضمَّن نَبْتهـا غَيثٌ قليـلُ الدِّمْنِ ليس بمعْلم [٤]
جَـادَت عَليـهِ كُـلُّ بِكْـرٍ حُـرَّةٍ فـتَرَّكن كلَّ قَـرارةٍ كـالـدِّرهَم [٥]
سَحًّـا وتسْكـابـاً فكـلَّ عَشيَّـةٍ يَجْـرى عَليهـا المـاءُ لَمْ يَتصـرَّم

تلك الخود غضيضة الطرف عذبة المقبل والمبتسم ذات الثغر المعطر من هى ؟ إنها عند الشاعر روضة أُنف تنفحه بأريجها ، وتستبيه برونق ثمرها وزهرها ونبتها وعرارها .. روضة باكرها السحاب وجادها التسكاب !

ثم يبتكر عنترة فى الوصف فيأتى بهذه الصورة المعجبة وإبداعه فيها مما لم يسبق إليه :

وخَلا الذُّباب بِها فَليسَ بِبـارحٍ غَـرِداً كفِعْل الشـارِب المـترنم [٦]
هَـزجـاً يحُـك ذِراعَـه بـذِراعِـه فِعْل المكبِّ عَلى الزِّناد الأجْذَم [٧]

---

(١) الحلوبة : الناقة .

(٢) غروب : حد ، وغروب الأسنان : حدها .

(٣) الفارة : وعاء المسك يشبه بها طيب رائحة الفم .

(٤) الدمن : المطر الخفيف . المعلم : ذو العلامة .

(٥) البكر : السحابة فى أول الربيع .

(٦) الذباب : النحل يقع على الأزهار .

(٧) الأجذم : الزناد القصير - ابن قتيبة الشعر والشعراء جـ ١ ص ٢٠٧ أسامه بن مرشد الكنانى / لباب الآداب ، ص ١٨٣ . وورد القلائد » جـ ١٢٤ م الحلبى تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم .

صورة شاخصة معبرة [١] .

ثم يتصور عبلة وقد لفها القمر بضوئه ، أو ناغمها الصبح بأغاريده منعمة مطيبة فى فراشها الوثير ، فى حين أنه مقتعد غارب فرسه حشيته السرج الناتئ ، ذائد عن قومه وعشيرته :

تُمْسى وتُصْبِح فَوْق ظَهْر حشيَّةٍ ... وأبيتُ فَوقَ سَراة أدْهم مُلْجَم [٢]
وحَشَيتى سَرجٌ عَلى عَبْل الشَّوى ... نَهدٍ مَراكِلهُ نَبيلُ المحْزَم [٣]

ثم يصف الناقة وكأنه يهدهدها ، مستحثاً إياها لكى تبلغ به دار محبوبته :

هَلْ تُبلغنِّى دَارها شَدنيَّةٌ ... لُعنَت بمجْرُوم الشَّراب مُصرّم [٤]
خطَّارةٌ غِبَّ السُّرى زيَّافَةٌ ... تطسُ الإكامَ بذاتِ خُف ميثَم [٥]
وكأنما أقْصَى الإكَام عشيةً ... بقَريب بَيْنَ المنْسِمَيْنِ مُصَلَّم [٦]
تأْوى لَه قُلُص النَّعامِ كَما أوتْ ... حِزَقٌ يَمانيَةٌ لأعْجَم طَمْطم [٧]
يتْبَعن قُلَّة رأسِه وكأنَّه ... حَرَجٌ عَلى نَعْش لَهنَّ مُخَيم [٨]
صَعلٌ يعودُ بذِى العشيرةِ بَيضهُ ... كالْعبد ذِى الفَرْو الطَّوِيل الأصلَم

ويستمر فى وصف الناقة ذاكراً مزاياها وسقياها :

شَربتْ بماءِ الدّحْرضَيْنِ فأصْبَحتْ ... زَوراء تنفر عَن حِياض الدَّيْلَم [٩]
وكأنَّما ينْأَى بجانِبِ دُفِّها !! ... وحْشىّ مِن هَزِج العَشى مُؤوّم [١٠]
هرٌّ جَنِيبٍ كلَّما عَطَفت لَه ... غَضْبى اتَّقاها باليَدْينِ وبالْفَم

---

(١) شفيق جبرى بين البحر والصحراء العدد ٤٩ من سلسلة « اقرأ » ص ١٢ و ١٣ ففيه تحليل موفق لهذه الأبيات .
(٢) الحشية : الفراش المحشو .
(٣) الشوى : القوائم . المركل : حيث تبلغ رجل الراكب من بطن الجواد .
(٤) الشدنية : الناقة .
(٥) خطارة : تخطر بذنبها . تطس : من الوطيس ، مطرد الخيل ، الميثم : ومن وثم يثم إذا عدا وخف .
(٦)المصلم : مقطوع الأذنين .
(٧)الحزق : الجماعات الطمطم : الذى لا يفهم .
(٨) الحرج : سرير المريض أو البيت .
(٩)الدحرضان : اسم مود من مواد الماء (وفى تهذيب الصحاح نشر محمد سرور الصبان وتحقيق أحمد عبد االغفور عطار وعبد السلام هارون : ماءان – راجع ص ٤٣٣ ج ١) ، زواره : عوجاء مائلة من النشاط ، الديلم : الأعداء ، وقيل الجماعة ، وقيل الظلمة ، وقيل الداهية .
(١٠) الوحشى : الجانب الأيمن من البهائم ، المؤوم : عظيم الرأس .

أبقى لَهـا طُول السِّفـار مُقرمـداً سَنـداً ومِثـل دَعـائم المتَخيّم [١]
بَـرَكت عَلَى مـاءِ الرِّداعِ كـأنّما بَرَكت عَلى قَصَبٍ أجَشّ مُهضَّم [٢]
وكـأنَّ رِبًّـا أوْ كَحيـلا مُعقـداً حَش الوقُود بهِ جَوانب قُمْقُم [٣]
ينْباعُ مِنْ ذِفْرى غَضُوبٍ جَسرةٍ زَيـافـةٍ مِثـل الفُنيقِ المكْـدَم [٤]

معان شائقة لا يجب أن تروعك فيها وعورة اللفظ ، فالورد دائماً محفوف بالشوك !

وإذ ينتهى عنترة من وصف الناقة بعد أن أطال فيه وجوَّد ، ينثنى إلى أغراض أخرى تلامس واقع حياته ، وأسلوب معيشته من ألوان البطولة والفتوة ، ومجالس اللهو والشراب ، والتغزل بمحبوبته الساحرة فيقول مخاطباً إياها :

إنْ تَغْـدفى دُونى القِنَـاع فـإننى طَبٌّ بـأخْذِ الفَـارسِ المسْتَلئمِ [٥]

ولا يكلف هذه المحبوبة المفتان أن تلفق فيه الوصف أو تتزيد فى القول ، فهو من أمجاده وخلاله فى موكب ليس عليه زيادة لمتزيد ، ويكفيها إذا شاءت أن تفخر بما تعلم من مواهبه وصفاته وعظم شخصيته وبطولته :

أثْنَى عَـلىّ بمـا عَلِمْـتِ فـأنَّنى سَهْـلٌ مُخـالـطتى إذاً لَم أظْلَم
فـإذَا ظُلمت فإنَّ ظُلْمىَ بـاسـلٌ مُـرٌّ مَـذاقتـهُ كَـطَعم العَلْقم [٦]
ولَقَد شَربتُ مَنَ المـدَامَة بَعـدَما رَكـدَ الهَواجـرُ بالمشُـوف المعْلَم [٧]
بـزُجـاجـةٍ صَفْـراءَ ذَاتِ أسـرَّة قُرنا بـأزْهَر فى الشـمَال مُفدّم [٨]

ثم هو صاحب خمر يحبها ويشربها – كعادة أهل الجاهلية – ولكنه يقف عند الحد الذى

---

(١) المقرمد : المبنى بالآجر ، أى أن سنامها تماسك وتصلب كأنما بنى بالآجر ، المخيم : الذى يتخذ خيمة .
(٢) الرداع : مورد لبنى سعد . الأجش : الذى فيه خشونة . المهضم : المخرم وقيل المكسر .
(٣) الرب : ما تبقى من عصارة التمر . الكحيل : القطران .
(٤) ينباع : ينفعل ، وروى ينهم بمعنى يذوب ، الزفران : العظمان الناتئان خلف الأذنين . الفنيق : الفحل .
(٥) تغدفى : ترخى قناعك على وجهك . طب : خبير . المستلئم : الذى لبس اللأمة .
(٦) باسل : كريه .
(٧)الهواجر : نصف النهار . المشوف : الدينار المجلو . المعلم : الذى فيه كتابة سعيد الأفغانى / أسواق العرب راجع ص ١٩٧ .
(٨) الأسرة : الخطوط . قرنت : شدت بكأس أخرى . أزهر : أبق ، من فضة . المفدم : الذى عليه الفدام ، وهو خرقة يغطى بها ، وقيل الفدام المصفى . .

لا يضيع حجاه ولا يفقده صوابه ، يستهلك ماله فى الشراب ، ولكنه يعز عرضه . فالشرف المذخور أثمن ما يحرص على صيانته ، أما المال فلا ضَيرَ من بذله لكريم مثله :

فـإذَا شَـربتُ فـإنَّنى مُسْتـهلكٌ مـالى وعـرضى وَافـرٌ لَم يُكْلَم
وإذَا صَحوتُ فَما أقصرُ عَن نَدى وكَـما عَلِمْتِ شَمائِـلى وتكـرُّمى [1]

كما أنه إذا جندل الفوارس ترك الفرائص مصفرة مرتعدة مما يلاقيه عدوه من شدّة ، وما يعانيه من مرارة :

وحَلِيـلِ غـانِيـةٍ تـركتُ مُجـدَّلا تمكُـو فَريصتـهُ كشِـدْق الأعْلَم [2]
سَبقَت يَـدايَ لـهُ بَمـارِن طَعْنـةٍ وَرشَـاشِ نافـذةٍ كَلَوْن العَنْدم [3]

ثم يهتف بعبلة صائحاً ، وكأنه يشعر بأنه قد فتر إصغاؤها له وتحمسها لقوله :

هلاَّ سألْتِ الخيلَ يا ابْنةَ مَالـكٍ إنْ كُنتِ جَـاهلةً بمـا لَم تَعْلمى
إذْ لا أزالُ عَلى رحَالةِ سَابـحٍ نَهْد تـعَـاورهُ الكُـمـاةُ مُكلَّم [4]
طَـوْراً يجـرَّد لـلطِّعـانِ وتـارةً يأْوِى إلَى حَصد القسىِّ عرمْرَم [5]

فإنها لو سألت لعلمت ما لم تكن تعلم ، ولعرفت أنه يغشى المعارك غشيان الليث الغضنفر ، ولكنه يعف عن المغانم والمكاسب ، فهمّه أبعد من توافه الحياة :

---

(١) ابن قتيبة الشعر والشعراء راجع جـ ١ ص ١٤٨ وفى الخمر يقول الأعشى بيته المشهور :

وكـأس شـربـت عـلى لـذة وأخـرى تـداويـت مـنهـا بهـا

وقد نظر إليه أبو نواس فى قوله :

دع عنـك لـومى فـإن اللوم إغـراء وداوِنى بـالـتى كـانـت هـى الـداء

تقى الدين بن حجة الحموى ثمرات الأوراق ، على هامش كتاب « المستطرف فى كل فن مستظرف » ص ٤ ومن رقيق وصف الخمر قول ابن سكرة :

قـم هـاتهـا أصـفـى إذا رقـرقـت فى الـكـأس من دمـعـة مـهـجـور

أبو منصور الثعالبى / « يتيمة الدهر » راجع جـ ٣ ص ٥٩ .

(٢) تمكو : تصفر ، الفريصة : الموضع الذى يرعد من الدابة أو الإنسان هنيهة الخوف .

(٣) أبو عثمان الجاحظ « البيان والتبين » راجع جـ ١ ص ١٢٣ ، والأب لويس شيخو شعراء النصرانية جـ ١ ص٨١٢ . العندم : صبغ أحمر .

(٤) الرحالة : السرج الذى يحمل من جيود الشياه بأصوافها . السابح : الذى يدحو بيديه دحواً ، وهو كناية عن السرعة الشديدة . النهد : مرتفع الجنبين . تعاوره : تداوله . المكلم : المجروح .

(٥) الحصد : الكثير وقيل المحكم . القسى : جمع قوس . الفرمرم : فى اللسان الفرمرم الشديد ، وقيل الكثير .

يُخْبركِ مَنْ شَهِد الوَقيعةَ أنَّنى أغْشَى الوَغَى وأعفّ عِنْد المَغْنَم

ثم هو يتصيد من الرجال أشدهّم بأساً ، وأقواهم مراساً من تحاماه الفرسان وكره الأبطال نزاله :

وُمدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَه لا مُمْعِنٍ هَرباً ولا مُستَسلم[١]
جَادَت يَدايَ لهُ بعاجِلِ طعنةٍ بمُثقّف صَدْقِ الكُعُوب مُقوَّم[٢]
برحيبَة الفَرْغيْن يَهْدى جَرْسُها بالليل مُعتسّ الذِّئاب الضُّرم[٣]
فَشككتُ بالرُّمْح الأصمِّ ثِيابهُ لَيسَ الكَريمُ علَى القَنا بمُحرَّم[٤]
فتَركْتهُ جَزَر السِّباع يُنْشنه ما بَيْن قُلةِ رأسهِ والمِعْصَم[٥]

ثم يستمر فى وصف طعانه للفرسان ، وسيطرته البارعة فى مواقف النزال والعراك :

ومِشْكٍ سَابِغة هَتكتُ فُروجَها بالسَّيفِ عَنْ حَامى الحقِيقَة مُعْلَم[٦]
رَبذٍ يَداهُ بالقِداحِ إذَا شَتا هتَّاك غَاياتِ الشِّجارِ مُلوَّم[٧]

وإن مبارزه ليفغر فاه دهشة وخوفًا وترقبًا لما سوف يناله من برازه . إنها نماذج بشرية يصوّرها عنترة أصدق تصوير :

لَّما رَآنِى قَدْ نَزلْت أُرِيدُهُ أبْدَى نَواجِذه لِغَير تبسُّم
فَطعنتهُ بالرُّمحِ ثمَّ عَلوتُه بمُهنَّدٍ صَافى الحَديدةِ مُخْذم[٨]
عَهْدى بهِ مَدَّ النَّهار كأنَّما خَضَبَ البَنان ورأْسُه بالعَظْلَم[٩]

---

(١) لا ممعن هرباً : لا يفر فراراً .
(٢) المثقف : المقوم . الكعوب : عقد الرمح وكل ما بين أنبوبتين .
(٣) فرغ : ما بين كل من عرقوبين . المعتس : المتبقى ، اعتس الشئ : طلبه .
(٤) ليس الكريم : أى أن الكريم لا يموت فى فراشه ، وإنما يموت فى مواقع الحرب ، وثيابه كناية عن قلبه .
(٥) الجزرة : الشاة والناقة . ينشنه : يتغاولنه بالأكل . القلة : أعلى الشىء .
(٦) المشك : الدرع . فروجها : خروقها منافذها .
(٧) الربذ : السريع الضرب بالقداح الحاذق فى لعبها . إذا شتا : لأن الجدب أشد ما يصيب العرب فى الشتاء . الشجار ، هنا : الخيارون . الملوم : الذى يكثر لوامه على إنفاق ماله .
(٨) المخدم : من الخدم وهو القطع .
(٩) مد النهار : أوله . خضب : طلى . العظلم : شجر أحمر ، وقيل الوسمة ، والأول هو المراد .

بَطَل كأنَّ ثِيابهُ فى سَرحَةٍ يُحْذى نِعال السِّبتِ لَيسَ بتَوْأم[١]

وهذه صورة فنية لا يفوته أن يسجل إرَّاقها وهو غارق فى حومة الوغى ، فهو يتذكر فى بريق الرماح عند اشتجارها ، ولمعان السيوف عند اشتباكها ثغر محبوبته العذب الشنيب ، فيود لو أهوى على السيوف مقبلا ، برغم أنها تنوشه وتدميه :

ولَقَد ذَكَرتُكِ والرِّماحُ نَواهلٌ مِنِّى وبِيضُ الهِنْد تقْطُر مِنْ دَمى
فَوددْت تَقْبيلَ السُّيوف لأنَّها لَمَعت كَبارِق ثَغْرك المتَبسِّم[٢]

ويؤوب إلى التغزل فيقول :

يَا شَاةُ ما قَنصٌ لمنْ حَلَّت لهُ حَرُمت عَلى وَليتها لَم تَحْرم[٣]

ثم أرسل يتجسس :

فَبعثْتُ جَارِيتى فقُلت لَها اذْهَبى فَتجَسَّسى أخْبَارها لِى واعْلَمى
قالَتْ رأيْتُ مِنَ الأعادِى غِرةً والشَّاةُ ممْكنة لَمَنْ هُو مَرْتمى[٤]
وكأنَّما التَفتتْ بجِيدِ جَدايةٍ رَشَأ مَنْ الغِزْلَان حُرٌّ أرْثم[٥]

ويرسل حكمة متمثلة فى منكر نعمة له :

نُبْتُ عَمْرًا غَيْر شَاكِر نِعْمَتى والكُفْر مَخبثةٌ لنَفْس المنْعِم[٦]

ويتذكر وصاة عمه له ضحى ، فيكرّ غير مذمم ، ويفعل بالأعداء الأفاعيل ؛ إنه يتقى الضربات ، وينقضّ عليهم انقضاض الليث الهصور مهما تكاثروا عليه وتألب جمعهم ، فهو أمامهم شيطان مريد ، وبطل عنيد ، وقرم لا يباريه نديد :

---

(١) السرحة : شجرة لا ثمرة لها . نعال السبت : المدبوغة بالقرظ وهى مما كان يلبسه الملوك والأقيال . التوأم : الذى يولد معه آخر فيكون ضعيفاً ، والمعنى أن البطل عملاق كأنه شجرة فارغة أبو محمد بن مسلم « أدب الكاتب » راجع ص ٣٩٤ - ٣٩٥ م السعادة بمصر) .

(٢) بارق : بريق أسنانك .

(٣) الشاة : هنا المرأة ، وقيل النعجة .

(٤) الغرة . الغفلة . مرتمى : رامى السهام ، ومنه قولهم خرج يرتمى إذا خرج يرمى بالقنص .

(٥) الجداية : الظبية . الحرار : البيض . الأرثم : الذى فى شفته العليا بياض أو سواد .

(٦) المخبثة : الأمر الخبيث .

ولَقَد حَفِظْتُ وَصَاة عَمِّى بالضُّحَى إذْ تقْلِص الشَّفتان عَنْ وضَحِ الفَم[١]
فى حَومةِ المـوْتِ الَّتى لا تَشْتكِى غَمَـراتهـا الأبْـطال غَـيْر تَغَمْغم[٢]

وهو دائمًا قلب الهجوم ، وطليعته ، ومقدمة الفرسان ، يتقى به بأس العدو :

إذْ يتَّقُـون بى الأسِنَّة لَمْ أخِم عَنْهـا ولكنِّى تَضَـايق مَقْـدمى[٣]
لَّـا سمَعْت نِداء مُـرةَ قَدْ عَـلا وابْنى رَبيعَـة فى الغُبـارِ الأقْتَم[٤]
ومحلَّم يسْعَـون تَحْت لِـوائِـهم والمـوتُ تَحْت لِـواء آلِ مُحلَّم[٥]
أيْقنتُ أنْ سَيكُـون عِنْد لِقـائهم ضَرْبٌ يَطيرُ عَنِ الفِراخ الجُثَّم[٦]
لَّـا رأيتُ القَـومَ أقْبَـلَ جَمْعُهم يَتَـذَامرُون كَـرَرْت غَـيْر مُـذمَّم[٧]

كما أنه فى المعمعة موضع النداء وقطب الرحى :

يـدْعُـون عَنْـتَر والـرِّمـاحُ كـأنَّها أشْـطانُ بِئرٍ فى لبَـانِ الأدْهَم[٨]

وإنه ليشعر بما كبد جواده من هوْل ومشقة ، ولكن ما من الجلاد بد ، برغم ما أصاب الجواد فى استماتة راكبه من عذاب وتعرض لشك الرماح وطعنها حتى لكأنه اغتسل بالدماء من إثخانه بالجراح :

مَـازِلتُ أَرميـهُم بغـرَّةَ وَجْهِـه ولَبـانِـهِ حتَّى تَسـرَبـلَ بـالـدَّم[٩]
فـازْورَّ مِنْ وَقْـع القَنـا بلَبـانِـه وشَكـا إلىَّ بعَبـرةٍ وتَحْمـحُم[١٠]
لَوْ كانَ يَدْرى مَا المحاوَرةُ اشْتَكى ولَكَـان لَـو عَلَمَ الكـلَام مَكلِّمى
والخَيْـلُ تَقْتحمُ الغُبـارَ عَـوابسًـا مَنْ بَينِ شَيظَمةً وأجْرَد شَيْـظم[١١]

---

(١) تقلص : تجف .
(٢) التغمغم : صوت تسمعه ولا تفهمه .
(٣) لم أخم : لم أجبن .
(٤) الأقتم : الأسود .
(٥) محلم بن عوف الشيبانى الذى يضرب به المثل فى الوفاء والعزة يقال « لا حر بوادى عوف » .
(٦) المعنى أن الضرب يطير هام الفارس وما حوله ، والعرب تعبر عن الرأس بالفرخ والعصفور .
(٧) يتذامرون يحض بعضهم بعضاً على القتال .
(٨) الأشطان : حبال البئر . اللبان : الصدر .
(٩) ويروى بثغرة نحره .
(١٠) التحمحم : صوت مقطع دون الصهيل .
(١١) الشيظم والأجرد : قصير الشعر .

على أنه يصغى لهتاف الفوارس باسمه جذلا نشوان ، لأنه يعلم أنهم لا يدعون إلا ضيغمًا يعرف كيف يقودهم إلى النصر ، ويجنبهم معرة الهزيمة ومواطن الإخفاق والخيبة :

ولَقد شَفَى نَفْسى وأَبرأ سُقْمها ... قِيلُ الفوارسُ وَيْكَ عَنْتر أَقْدِم[1]
ذُللٌ رِكابى حَيثُ شِئْت مُشايِعِى ... قَلْبى وأَحْفزه بأَمْرِ مُبرَم[2]

وهو لا يحذر الموت إلا أن يوافيه قبل أن يثأر من أعدائه ، وممن ينالونه بألسنتهم ، ومن هؤلاء الأعداء ابنا ضمضم المريّان ، ولكن من هما ابنا ضمضم هذان اللذان نذرا دمه ؟ يا لهما من مسكينين ! ألم يعلما أنه قد قتل أباهما ونكل به ، وأذاقه كأس المنون ، فأين كانا هما ؟ إن عليهما أن ينكرا أنه إذ قتل أباهما ، فكأنه أراق دمهما وإلى أن يلقاهما فإنه ليهيب بهما إلى النزال هاتفًا :

ولَقَد خَشِيتُ بأَنْ أَمُوتَ ولَم تَدُرْ ... لِلْحَرب دَائرةٌ عَلى ابنىْ ضَمْضَم[3]
الشَّاتِمى عِرْضى ولَمْ أَشْتِمْهُما ... والنَّاذرَيْنِ إذَا لَمِ الْقَهُمَا دَمى
إنْ يَفْعلا فَلَقد تَركتُ أباهُما ... جَزَر السِّباع وكُلِّ نَسْر قَشْعم[4]

وهكذا نأتى على ختام هذه المعلقة الفريدة بعد أن استمتعنا بروائع ما فيها من ديباجة مشرقة ، وأسلوب رائع خلاب ، ومعان شفافة مسلسلة ، وظلال من حماسة عنترة وشدته وبأسه .

وقد أفرد الدكتور طه حسين فى كتابه « حديث الأربعاء » « ساعة مع عنترة » تحدث فيها عن جوانب من معلقته هذه[5] .

---

(١) ويك : قال بعض النحويين معناها ويحك ! يعنى يرحمك الله .

(٢) الذلول من الإبل : سهلة القياد .

(٣) الدائرة : ما ينزل من البلوى ، وابنا ضمضم : هما هرم وحصين ابنا ضمضم المريان ، قتلهما ورد بن حابس العبسى ، وكن عنترة قتل أباهما ضمضماً فكانا يتوعدانه ، وورد البيت فى الحماسة للبحترى « ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر » تراجع الحماسة للبحترى مطبعة مصطفى محمد بمصر ص (٥٥) .

(٤) القشعم : الكبير من النسور .

(٥) طه حسين / حديث الأربعاء ج ١ ص ١٤٥ إلى ص ١٥٣ .